الوردة ملء الليل

شعر

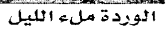
رضا العبيدي

الوردة ملء الليل

شعر







الوردة ملء الليل

الإشراف العام
د. طلعت شاهين

المؤلف :
رضا العبيدي

الطبعة الأولى :
أبريل 2006

مكتب القاهرة
(+20) 12 410 20 08
sanabook@maktoob.com
sanabook@hotmail.com

رقم الإيداع:
١١٩٤٨/ ٢٠٠٦

الترقيم الدولي : I.S.B.N.
84-931366-10-0

بالتعاون مع:
دار ألواح
DAR ALWAH
APARTADO 50631
28080 MADRID
SPAIN

لوحة الغلاف للفنانة الفرنسية:
جاكوب كاميل
تصميم الغلاف:
كامل جرافيك

هـو

البحر
الذي أخذني على حين غفلة مثل النعاس
الذي أمواجه تزمجر هائجة كثيرانٍ تحت سياط الأمطار
الذي أمكنني أن لا أنجو منه حتى بأعجوبة
الذي حدّث طويلاً ضفافه عن تخبطي في لججه
مثل سمكة صغيرة فوق حصى اليابسة
الذي تحول إلى خرافة واسعة ككهف
الذي لا يفتأ يعض ذاكرتي ككلب سائب
الذي كلما رجمته بحجارة ابتلعها بشراهة
الذي يضحك بلا توقف ضحكاً هستيرياً
البحـــر.

(القطار بين نيس وبوردو 19-3-2005)

اعتزار

لكنها ضفائرك المشدودة بعناية
إلى ما كان
من خروجنا إلى جهة أخرى
نجهل جغرافيتها
المبّسطة في كتاب صغير
يطالعه الأطفال
تغمرني الآن بكل تموجاتها
وتجرفني بعيداً.

لكنها ـــ أقصد يدك التي أصابعها بلا خاتم وحيد ـــ
تربّت على كتفي
وتهمس لي: إنس
لا تكترث
وانهب في حال سبيلك

لكنها

وأنس

ما يجب كتابته

في مناسبة كهذه.

(مارس 2005)

في الطريق نسيتُ

في الطريق إليكِ نسيتُ أن حياتي تآكلت حتى النصف
نسيتُ حتى أن أنظر إلى السماء
ـــ إن كانت ستُمطر ذلك اليوم ـــ
في الطريق إليكِ أضعتُ حقيبتي
أسمي بالكامل
بعض الأوراق النقدية
بتلة وردة تحفظ صفحة في كتاب
الصفحة التي لم أقرأها بعد
وما تلاها من الصفحات
بطاقة بريدية وحيدة
رزنامة الأيام القادمة
في الطريق أضعت كل شيء
حتى النبضات التي كان يُفترض أن تتسارع لدى رؤيتكِ.

(نيس 2004)

أوراق يابسة

كنتُ لم أنتبه بعدُ من جمع الأوراق اليابسة
التي أسقطها هواء البارحة
لما طلعت الشمس
وغمرني نورها
كنتُ لم أتوجه بعد
لانتزاع ورقة أخرى ــ ككل صباح ــ
من الروزنامة المعلقة على الحائط
الذي بالكاد يتماسك.

هكذا يتعين عليّ أن أبدأ نشاطاً
يبدأُ بفتحِ الباب
ولا أدري بعد ذلك أين ينتهي
مثل خط في خريطة يرسمُ مجرى نهر
مصبُه ممحو في جانب من الصفحة
مهروسٍ
بأصابع قلقة متوترة
لسائح في حيرة من أمره
لا يدري من أين يبدأ رحلته

في البداية أقطع الشوارع ذاتها
أمر أمام واجهات المحلات ذاتها
وقد أرى المشاهد ذاتها
تحت ذات الشمس
تحت ذات السماء
بعد ذلك ربما أحدهم يطرقُ بابَ البيت الذي أكونُ خارجه
ربما يتبدل الطقس وتهب عاصفة
تطوح بالشجرات التي كانت بدتْ هادئة هذا الصباح
تعبثُ بالغسيل المعلق على الحبل ــ والذي لم يجفّ بعد ــ
وتكنس آثار الخطوات من على الطرق الأخرى
لتكدسها أمام عتبة البيت
ربما تهطل أمطار غزيرة فوق السقوف
تجبر الخارجين في ذلك الوقت على حمل مظلات
تحجبُ عنهم رؤية السماء
ربما ينزل خبر عليّ نزول الصاعقة
يضطرني لحث خطوات عريضة كأفواه
جائعة
لعماليق في كهف خرافة

كدتُ أنسى تفاصيل أحداثها
لولا أنها في ذلك الوقت
تكون بصدد التكرر فيّ وضوح تام
مثلما تتكرر إيقاعات حبات الأمطار
الهاطلة بغزارة.

هكذا البيت الذي منه أخرجُ
لا أعودُ إليه في الغالب.
ـــ أقصد لا أعودُ إليه نفس الشخص
الذي خرج صباحاً ـــ
كما لو أني أيضاً ورقة
تُنتَزع كل صباح من الروزنامة
التي على الحائط
الذي بالكاد يتماسك.
البيت الذي منه أخرجُ
يعود إليه آخر غيري
بذاكرة أخرى
وملامح أخرى
المرآة وحدها تعرف ذلك

المرآة التي على الحائط
الذي بالكاد يتماسك
أحد آخر غيري يزور البيت كل عشية لأول مرة
ليخرج منه صباح اليوم التالي لآخر مرة
دون حتى أن يترك وصية مقتضبة فوق الطاولة
دون حتى أن يغلق الباب وراءه برفق.

أحدثك

أحدثّك عن الليل الذي طال كل شيء
حتى زوج القفاز الذي أجمع به القاذورات
المتراكمة على مدى اليوم لإلقائها في
حاوية المهملات...
أحدثكِ عن الجسد الذي اخترقته سكين
لمعتْ بحدة في فيلم البارحة
أحدثكِ عن قوارب الموت على طول سواحل المتوسط
أحدثكِ عن الأصابع الباردة للغرقى بأظافرها غير المقلمة
أحدثكِ عن كسور في الجدار
الذي لم يشيّد بعد ــ ولو أعوجَ
كهيأة أحد ما ــ مجنون بالتأكيد ــ بصدد الانحناء
لالتقاط شمس رآها في قاع غدير...
أحدثكِ عن طفولة كلها أكاذيب
وأراجيح كثيرة
لم أركب واحدة منها ولو في الحلم

الكاذب أيضاً
رغم اجتهادات جدتي في تفسيره.
أحدثكِ بلا رأفة
أحدثكِ عن كل شيء
وعن لا شيء تقريباً
فيما أنت تمضغين علكَ الشّوينغوم
الذي تعطينه الأشكال التي تريدينها
بعضّاتكِ
دون أن يصرخَ أو يتألم
دون حتى أن يتذكر
النبتة القديمة التي كانها
في مكانٍ بعيد
مكان واسع كهذا الحديث
الذي أنا بصدد الخروج عن موضوعه
كمن يخرج في نزهة
لا يعود منها.

ملاحظات زائر آخر للمعرض

وكما يستلُ خنجراً من مغمده
خرجتُ من البيت
غير آبه لصيحة الباب ورائي
الباب الذي انغلق
إلى الأبد ..

حتى أن الليل لم يحل ذلك المساء
النجوم لم تظهر
اللصوص لم يخرجوا
الأشباح لم تُطل من مغاورها
والصباح ظل مؤجلاً إلى ما لا نهاية.
حتى أن الحصيات الصغيرة صارت ثقيلة جداً

كي تُرمى بها النوافذ
التي لم تكن تُرى بوضوح
ودقات القلوب أضحت بطيئة جداً مثل سلاحف
كلما شرعنا في عدها اعترانا الملل
لبطئها الشديد غير القابل للتحمل
إذ يغدو الأمر كريهاً كما لو أنه درس في الرياضيات.

حتى أن الجميع كان ينسحب مثل بساط تلهو به ريح
لا نعرف من أين تهب
من كل ارتباطاته
ومواعيده
التي لم يجد الوقت ــ ولا الشجاعة ــ بعد لتدوينها في مفكرة
(ولو ذات أوراق بالية).

حتى أني لما خرجت
(إلى الأبد)
لرؤية هذا المشهد
بكل تفاصيله التي ظل البعض منها عالقاً بريشة الرسام
الذي كان يتحدث إليّ كمن يتحدث إلى نفسه في بهو المعرض

لم أعد أتحمل الأطر الخشبية المربعة التي كانت تحوي كل
هذه الألوان ــ التي لا معنى لها خارج الليل الذي لا يحل أبداً ــ
لم أقو على الذهاب أبعد من حياة معمر عاش خلف الربى البعيدة
التي كانت تحجب عني القمر فلا يصل إلاّ في ساعة متأخرة
نكون فيها قد نمنا ــ أنا وهو والجميع ــ عميقاً
وهدأت حركتنا مثلما يهدأ
ماء راكد

حتى أنهم لما بحثوا عني في كل الأركان الشهيرة بتجميع الظلال
لم يجدوا لي أثراً عدا بعض قطرات من الدم تشرّبَها التراب الجاف
ــ قيل إنها من فصيلة دمي ــ
وزوج حذاء مسحت عنه الأغبرة بكل عناية.

حتى أني لم أعد إلى بيت
لم أعد أتذكر منه سوى صيحة بابه إثري
ولم أشأ أن أسأل عن مكانه من ظننتهم جيراناً مخافة

أن يُقال بأنني جننت
وأُقاد إلى مصحة عقلية
أُجبرُ فيها على حضور دروس في الحساب الذي أكرهه
ويُصغى فيها إلى نبضات قلبي في أحيان كثيرة
وفضلت على كل ذلك أن أسير في دجى ليل آخر
في مكان آخر
بعيداً عن بهو المعرض
والألوان التي لا تعني شيئاً
وتفسيرات الرسام
والأطر الخشبية المربعة.

نحن

داخل عربة القطار
الذي ينطلق بعد قليل
نحن ــ جميع المسافرين ــ عائلة في بيت
في العربات الأخرى، الجيران
داخل القطار الذي أنطلق للتو كتيار النهر
فوق سكة الحديد التي تحدد وجهته بكل دقة
نحن المسافرون ــ كل إلى وجهته، كل إلى حاجته ــ
نحاول أن نقصر المسافات بالحديث عن كل شيء
ولا شيء: عن خلل في نظام التهوية،
عن المناظر وراء النوافذ التي تمرُ سريعة فلا تعطينا الوقت الكافي
لتأملها، عن الحرب في العراق، عن اجتماع
حلف الناتو في مدينة "نيس"، عن المظاهرات
التي تملأ الشوارع هذه الأيام، عن صحة بابا الفاتيكان،...

نحن المسافرون في هذه العربة
نحن العائلة الواحدة إلى حين
نحن الذين يتناقص عددنا من محطة إلى أخرى
فيما القطار غير آبه لهُرائنا
ورنين هواتفنا المحمولة في مرات كثيرة
يواصل سيره متبعاً سكته الحديدية
التي ترسم وجهته بكل دقة
سريعاً
كتيار النهر.

(- القطار بين نيس ومرسيليا - مارس 2005)

طربوش الأبله

أركض نحو وجهتكِ متكاثراً كالفطر
متمايلاً كقارب ركبه الجنون
الأرض كرة أتقاذفها أمامي أنا الذي
بِساقٍ واحدة مثل شجرة
تنتظر زيارة الحطاب بين الفينة والأخرى ـــ والجميع
يصفق لمرأى الستائر تنحسر عن مشهد تصعب
رؤيته بالعين المجردة ـــ
السماء طربوشي الذي يحلو للأطفال انتزاعه
من على رأسي والتلاعب به في أمواج من الضحك
أنا الأبله الذي أضاع طريق العودة إلى ذاته الصغيرة كحشرة
دون أن يُدرك أنه أضاع طريق العودة إلى ذاته الصغيرة كحشرة
وواصل غناءه
وعواءه في دغل آخر

كيف لي أن أزرر قميصي من جديد
كيف لي أن أتركَ هذا البحر ــ هكذا بسهولة ــ
وأسماكه
من ستأكل
من بعدي ... ؟

(مرسيليا ــ شتاء 2005)

في حادث غريب

....

إلى آخره ....

فلم يتسن لي رؤية الصور التذكارية (ضاع ألــ   قبل
أن أستخرج الصور) التي ربما كانت ستعيدني إلى لحظة
كانت فيها يدي ماسكة بغصن شجرة في ساحة ماسِّينا
بينما صخب مياه النافورات كان يشوش على
سماعك وأنتِ تطلبين مني الاعتدال في وقفتي،
كنت لا أرى سوى شفتيك كطفلتين صغيرتين بصدد
اللهو تجري الواحدة وراء الأخرى و تتشابكان،
ولم يتسن لي حتى أن أشتري ألبوماً جديداً
بحجم تلك اللحظة التي جمّدت فيها آله التصوير حركاتي
وحركات أغصان الشجرة التي كانت يدي تمسك بها
كمن يمسك بعزيز مصمم على الرحيل
يلتمس منه العدول عن قراره.

(نيس ــ شتاء 2005)

ذات مكان عال كثيف الأشجار يسمونه المقرم*

كنا غارقين في حديث طويل ـــ والحديث ذو شجون ـــ
فلم ننتبه للشمس تغيب خلف الربوات البعيدة
وللنجوم تتسلل الواحدة تلو الأخرى إلى
سمائنا
التي كانت فوقنا بكل ثقلها ـــ
كنا بلا نحن ـــ فقط أشباحاً تتبادل أمكنتها
عن طيب خاطر
وظلالاً تطول وتقصر كأنها تلعب بالنار
وأصواتاً ترتفع وتنخفض
كتضاريس البراري.

* غابة في الشمال الغربي التونسي سميت بالمقدم نسبة إلى أحد ساكنيها القدامى الذي كان يقطنها منعزلاً ورحل منها هروباً من الأشباح.

كنا على هذه الحالة
غارقين في حديث طويل جداً
عن الجنية التي فقدت جميع أسنانها
حالما فتحت فمها للريح
وتجمدت في مكانها
لتصير هذه الشجرة
ـــ الواقفة طوال الدهر في صمت ـــ
والتي لم نزل تحتها نتحدث
بأصوات ترتفع وتنخفض كتضاريس
البراري
حتى إننا لم ننتبه لمرور الوقت
الذي انسل كإبرة تخللت قماشاً رهيفاً
ولنداءات الذين كادوا ييأسون من عودتنا
ـــ برغم حاسة الشم القوية لكلابهم ـــ
وناموا ليلتهم مستلقين حذو كوابيسهم
عاقدين العزم على النهوض باكراً
لتمشيط الغابة
مرة أخرى ...

(نيس ـــ شتاء 2005)

أنت

(إلى صديقي الشاعر الفرنسي الجميل كازيمير برات
(Casimir Pratt

لقد جمعوك عندما ضعتَ بعدما أضعت قصاصات العناوين
جميعها
حين تعبوا فقدوك وحينما خلدوا إلى
الراحة وجدوك هنا
وهناك
فلمّوك من كل مكان يستعصي الوصول إليه
ولو على متن طائرات من آخر طراز
أنت الذي لم تعد تتذكر حرفاً واحداً من الحروف المكونة
لاسمك (لم يسبق أن نُودِيَ عليك كي يتسنى لك ذلك)
أنت الأشبه بهلال يطعن في الصميم كل من يرفع النظر إليه
أنت الذي تم جمعك هذه الليلة بعد جهد جهيد
وسيتم فقدانك غداً مع آخر نجمة تختفي في السماء
إلى متى يسمع سعالك بهذه الحدة؟

حالة لا تعني أحداً

أكسرُ قواعد اللعب مع لا أحد
أخرجُ في نزهة فوق القمر دون أن استأذن الظلال
أُباعدُ بين السماء والأرض
أُوقدُ أصابعي دون رحمة
أحاولني لآخر مرة ــ Ca passe qu Ca Casse ــ
عندما أكون بائساً كبائعة الكبريت الملسوعة بالبرد
عندما أكون رهيباً كامرأة تضع مولودها الأول حذو البحر
عندما أكون واسعاً كباب العرش.

(نيس 30-1-2005)

خطأ غير مقصود

(إلى امرأة لا أذكر أني عرفتها يوماً)

حينها كمن يُعدِل ساعته اليدوية حال وصوله
بلداً آخر ــ أبعد مما تتصورين ــ سأنسى
أنني كنت على وشك أن أنهار مثل بناية قديمة
وأحثُ الخطى كأني على موعد مع الشمس
بعد ليل طويل جداً كبئر عميقة
في حقل مهجور.

حينها ــ أقصد لما تسقطين أبداً مثل تفاحة
فلا أتعرف إليك إلا من خلال ستائر المخيلة التي
لم تعد لي بعد جميع ما حصل ــ أعدك عداً
تنازلياً حريصاً على أن لا أخطئ
مثل بخيل يعد مصاريفه في مرارة ما بعدها مرارة
وأجمعكِ من جديد في لهفة كمن يجمع
صحبه من حوله بعد فراق طويل
لمراجعة ذكريات قمحية اللون.
حينها ــ وأنا أنزل درجة درجة هذا السلم الحجري

إلى قرار سحيق لا أعرف أهواله ــ
يرنّ هاتفي المحمول ــ بنغمة موزارت ــ
حاملاً إليّ رسالة عجيبة لا أقدر على حل رموزها
كنتِ قد وجهتها إلى من أخطأتِ كتابة رقمه
فجاءتني عن طريق الصدفة.
(مدينة كان ــ صيف 2005)

ذلك الشبح

أطلقي كلابكِ خلفه لتطارده
حتى آخر نبضة في قلبه
حتى آخر زرّ في قميصه

تلهي بمرآة
ينحدر كدمعة

ينبغي أن يذهب
أبعد مما يصل إليه النظّر
وأن تتحرك الأشجار من حوله
بلا أدنى ريح

ذلك الذي من فرطِ خروجه عن الحدود
على كتفه أنقاض
لا تجلبُ انتباه أحد

أن يتوغل ــ مثلما يتوغلُ مخلباً
في لحم فريسته ــ فيه
بأقصاه

أن ينكمش على ذاته
مثل ركن

وأن لا يوجد
إلا صدفة.

(جنوة ــ ايطاليا ــ ربيع 2004)

أولئك الذين يمرون من هنا

إنهم يخرجون ــ فرادى وجماعات ــ لجمع
محاصيل ليل
لا يأخذك به نعاس
يكاد يقضي عليك بنجومه
غير القابلة للعد
وقمره الذي استدار كما يجب.

إنهم يخرجون، غير آبهين لصيحاتك
الخرساء، كسمكات تتخبط في شباك
لم تنسج بعد.

يجمعونك في لهفة
ويضعونك في أكياس
من ريح
لا تهب أبداً.

يغادرون دون أن يلقوا نظرة أخيرة عليك
كما لو أنك حجرة أو خدش صغير في ممر
أو عشبة قزمة
لا تجلب الانتباه.

كهذه اللحظة
التي ستجلب لك النعاس
وتذهب خفيفة حالما لا تعود ــ أنتَ ــ هنا.

(نيس ــ أفريل 2005)

المُراهِن

(إلى عبد الفتاح بن حمودة)

جمعني من ذكرياته الصغيرة
جمعَ أصابعه العشرة
من فوق الطاولة
نهضَ
ليذهب في حال سبيله
الذي لم تتوضح معالمه

صديقي
الذي هاتفته هذه الصبيحة
لأقول له إن كتابه ــ الذي لم اقرأه بعد ــ
وصلني مع بريد اليوم
كان حزيناً جداً

كان يلعب الورق
ويراهنُ على حياته
التي أضحت بلا معنى

كان بائساً
كما لو أن أصابعه
التي لم يقو على جمعها إلا بعد جهد كبير
آخذة في التساقط
الواحد تلو
الآخر
بالتزامن
مع
تساقط
شعرات
رأسه
الثقيل
كما
قال
لي

هذا
الصباح
في
الـها
تف
إذ
لم
تعد
لديه
المسكنات
و لا
ثمن
شر ا
ئِها
بعد
أن
خسر
الر
هان .

تحزيرات نارية

حذار من اللعب بالنار
خاصة الزرقاء
في لون قميصك
الذي تتجاذب تلابيبه الريح
كما لو أنها تتجاذب أطراف الحديث
تمضية للوقت.

حذار! لا تقترب أكثر
من كلمات لم تقلها بعد
ومن ظلال أخرى
تحلقت حولك لطبخ الشاي
وعد النجوم التي لم تظهر بعد
في سمائك
العالية أكثر من اللازم.

حذار! النار تحيط بك من جميع
الجهات التي لم يسبق أن التفتَّ إليها
ـــ سهواً أو عمداً ـــ
وتراود روحك البعيدة
كصوت لا نكاد نسمعه.

حذار! صيحة أخرى
وتعود المياه إلى
مجاريها
المحفورة ليلاً.

خطوة أخرى
ـــ إلى الأمام أو الوراء سيان ـــ
كافية لزلزلة الأرض
التي تقف فوقها وحيداً
بقميصك هذا
الذي تتجاذبُ أطرافَه الريح.

اليوم

أتممت كتابة الرسالة الأخيرة
التي سأوجهها إلى صديقي الشاعر
قلت له فيها أشياء عديدة
عن شجراتِ الحديقة التي لم تورق بعد
ــ رغم حلول الموسم ــ، وعن الدراجة الهوائية
التي لم أنجح في إصلاح عطبها
ما يقتضي حملها إلى محل
الميكانيك عند نهاية الشارع.
كذلك عن النعاس الذي لم يعد يأتيني بسهولة
والليالي التي لا تفتأ تطول مثل ضفائر هائلة
ليس لي قدرة على تمشيطها
بأصابعي التي بدأت تتساقط
كأوراق الخريف.
كذلك عن نافذة البيت
التي لم تعد تفتح على ما أشاء من المناظر
بعدما شُيدت بنايات مقابلة لها

حجبت عني جبالاً بالكاد كنت أراها
في الضباب الصباحي
لهذه المدينة الممنوحة للبحر
كذلك عن حياة أخرى كلها مياه
داخل بيوتٍ عائمة
رأيت روبورتاجاً عنها البارحة على شاشة التلفاز
الذي لم أغلقه ـــ بسبب النعاس الذي أخذني على حين غفلة ـــ
فظلّ يبث برامجه ـــ التي لم أعرف أبداً ماذا كانت ـــ حتى
الصباح، حيث وجدته ساخناً ملتهباً
كما لو أنه عانى من الحمى طوال الليل
فسارعت إلى إطفائه مشفقاً عليه
قبل أن أعد القهوة وآخذُ في كتابة
هذه الرسالة الأخيرة
لصديقي الشاعر.

أحدهم (أقصر جميعهم!)

حياته كانت حكاية للمزاح
ضحك لها الآخرون مجاملة لا غير
إذ لم يكونوا قد انتبهوا كما ينبغي
لحظة سرد تفاصيلها
ولم يكن لهم ما يكفي من الوقت
ـــ كل منهم ـــ بما فيهم هو ـــ كان على
موعدٍ خاص في جهة ما ـــ
لسؤاله إعادة روايتها
من جديد
ولو بإيجاز.

(نيس ـــ فيفري 2005)

محاذرة

كي لا أرعش ستائر النوافذ
ولا أسقط لوحات الجدران
ولا أربك حركات الساعة المعلقة
ولا أفزع القط النائم فوق الكنبة
رأفة بالبيت
وأركانه الأربعة
ويد البنّاء
كلّ صباح
أغادر في هدوء رهيب
كسارق.

S.D.F *

يُصادقُ الأشجارَ في كل مكان
كي يجمع أعواد حطب
يكدسها أمام بيت
لم يشرع بعد في بنائه

يسيرُ طويلاً في الممشى الحجري
الذي تكاد تأكله الأعشاب
المتوحشة
في غياب البستاني ومحشّه
في غياب البريد الذي نسي
أن يصل
ولو متأخراً
ولو بعد رحيل المتلقي الذي لم يسكن بعد

* **S.D.F** : كلمة متداولة في فرنسا ينعت بها المشردون الذين بلا مأوى وهي اختصار لعبارة: Fisce ileDomic Sans

البيتَ الذي لم يبن
خلف أكداس الحطب.

هكذا يمر شريط الأفكار سريعاً جداً
مرور فأرة صغيرة في رواق البيت
حالما يُطرق الباب طرقاتٍ
متتاليةٍ
كما لو أنه يتعرض للضرب المبرح
ـــ دون سبب وجيه ـــ
من أحد ما في زيارة غير منتظرة
بالمرة.

حتى أنه لما يحصي أصابعه
لا يجدها كاملة
البعض يسقط خلال سيره على
غير هدى
والبعض الآخر تنتزعه ريح
لا تزال تطرق الباب
بكل حدة

غير مبالية بصاحب البيت
الذي لم يسكن بعد
الذي يجمع ذاته من كل مكان
الذي لا يأخذ حياته مأخذ الجد
يعتبرها مزحة
لا تُضحك أحداً.

ويشرع في نسيانها
بالمشي الدائم
من أولى أيام الأسبوع
حتى صباحات أيام الآحاد
التي يحلو له فيها أن يركل
بقدميه المتهرئتين
الواجهات الحديدية المغلقة.

(نيس — 2005/5/5)

متى نمدُّ له يداً؟

الخارج
الذي لم يبق خارجاً إلى الأبد
ما لم تحط به جدران
يغطيها سقف،
أشعر ببرده
حالما ينغلق الباب
ورائي على أشياء البيت: مثل
الطاولة، الخزانة، السرير، أواني
الطبخ ...
التي لا تخرج أبداً.

الخارج الذي أقصده للتنزه
وقضاء حوائج شتى:
مصافحة صديق
لمس أوراق جديدة في شجرة

النظر في واجهات المحلات ... الخ
بارد جداً هذه الأيام
أمطاره تسوط ظهري
وريحه تلسع وجنتي حتى الاحمرار.

الخارج متى تبنى حوله جدران
ولو واطئة
في مستطاع خنفس أن يتسلقها
ويدلج إلى ركن دافئ؟
متى أعود منه دون شعور بأني هارب؟
متى لا أعاود الخروج إليه بهذا الحنين
الذي يجرف كماء جدول في غابة بعيدة؟
متى لا أعود أفكر فيه في توجس
كمن يتأمل نمراً يرقد بالقرب منه؟

الخارج الذي طرد منذ أحقاب إلى غير رجعة
كما يطرد المجرمون قديماً إلى أماكن يجهلون جغرافيتها
متى نمد له يداً ـــ ولو قصيرة ـــ
لنأخذه معنا

إلى ضيافة ــ ولو قصيرة ــ
نتحدث خلالها معه عن الظلام الذي يستفرد به حالما
ينام الجميع
والكلاب السائبة
والقطط المتوحشة
التي روضها مثل لاعب سيركٍ ماهر
لا يقدِم عروضه إلا ليلاً
في مسرح خال من جمهور
كُتبَ عليه أن لا يصل
إلا متأخراً في كل مرة
في ساعات الصباح الأولى.

مساحات

(إلى عبدا لهادي سعدون)

نكبرُ كالأشجارِ، كالأحجارِ، ككل شيء
كلما كبرنا أكثر ملأنا مساحات من هذا الفضاء
كانت شاغرة إلا من الهواء
ومن هبة عصفور أو فراشة بين فينة وأخرى
مساحات لم تسبقنا إليها جدران تبنى فجأة
نملأها بقامات و رؤوس تتحرك
وتتلفت هنا وهناك بعيون واسعة.

كالأشجار، كالأحجار، ككل شيء أيضاً
سنختفي ذات يوم لنترك المساحات
لمالكيها الأوائل: الهواء، هبة عصفور
أو فراشة بين فينة و أخرى
صغار يكبرون
جدران تبنى فجأة ... الخ ... الخ .

خطأ مطبعي في ترقيم الصفحات من ص٤٩ الى ٦٤

حقيقة

باستطاعته أن يدور ويدور
ويدور
مثل الخذروف
هذا الكوكب الذي أنا فوقه
بثقلي الذي لا يحس به مطلقاً
كما لو أني ذبابة على ظهر ثور هائل.

باستطاعته كذلك أن يتوقف ــ في أية لحظة ــ
دون أن أملك القدرة على تحريكه مليمتراً
بهاتين اليدين الصغيرتين.

لكن، ليس باستطاعته أبداً
أن يلغي حقيقة أني كنت فوقه
وأني أكثر من مرة
ركلته
بهاتين القدمين الصغيرتين.

استراحة عابر سبيل

سأنتظر هنا في هذا المخبئ
المليء بالليل
وموسيقى الصمت
توقفَ المطر الذي يدق عظام الأرض في الخارج
(أو الداخل، لا أدري!)
سأنتظر هنا برهة
أحادث خلالها الظلال
والأركان
عن المياه التي تجري من تحتي
عن اللصوص الذين يقطعون الطريق
كما يقطع الضجيج نظام الأفكار
عن تلك التي خرجتُ من حياتها
مثلما تسقط ورقة خريفية من شجرة
عن بيت أضعته سهواً
حال التفاتة مني إلى جملة خاطئة

عن كيس المجهول الذي لم أقو على حل رباطه حتى بأسناني
وعن أشياء لا أتذكرها الآن ...
سأنتظر قليلاً
قبل أن أنسل خفيفاً كخيط نحيل يخرج من ثقب إبرة
إلى الخارج
(أو الداخل، لا أدري!)
حيث طريق ستأخذني
إلى جهة أخرى.

(نيس ــ خريف 2004)

أطياف

ظلالي
تطول
وتقصر:
شياطين تحاول
إخافة جسدي.
**
قامتي ألفٌ
ليلاً تحاذي
الهاء.
**
سماء
أرهقت عنقي
أمكن لي رؤيتها جلياً
في قاع غدير
**

أصابعي وضعت السماء فوق ركبتي
وأنا تحركت ...
**
أحفرُ عميقاً
عما هو أثقل من خرافة
وأخفّ من هواء النافذة
أحفر
عن جذور
تطير!
**
روحي التي
طارت ...
عادت لتحط على أغصاني
وهي تسعل بلا انقطاع.
**
السماء عالياً
لا تزال تحك أظافرها!

إنه هناك في ميشيغان
ينهض في صباحات أخرى
غير الصباحات التي أنهض فيها هنا في فرنسا
على مرأى روحي الذي غادرني
كما يغادر الدخان بلا أمل في العودة
يقرأ بريده
وهو يرشف قهوته في هدوء جبل
وسيجارة المارلبورو
بين أصابعه النحيلة
السمراء جداً كأغاني صيف.

(نيس ـــ 2004/12/10)

تأكد

(إلى فتحي قمري)

قبل أن تقرر إزاحة أصابعك العشرة دفعة واحدة
وإكمال حياتك دون عدّهن آلاف المرات في اليوم
تأكد من أنّ السماء لا تزال فوقك
والأرضَ لا تزال تحت قدميك.

قبل أن تترك البيت دون رجعة
وترمي المفتاح في مياه النهر الجاري باتجاه المجهول
تأكد من أنّ قامتك استطالت كشجرة سرو.

قبل أن ترتكب جريمة أخرى
يعاقب عليها قانون الغاب
تأكد من أنك أنت حتى الآن
ولا أحد حلّ مكانك ليلاً.

لا أُلوي على شيء سوى جمع الحطب

لحظتها
لن أجد من يدلني على مأوى أخير
لن أضيع في الفضاء مثل رصاصة طائشة
لن أشرب الماء الذي منه خلقني الله
وأمسح شفتيّ بكم قميصي
لن أشعل النيران في حدائق الجيران كي
أرى أصابعي تطول أكثر من اللازم
لن أنام كجبل هادئ
لن أستيقظ صباحاً كي أحلق ذاكرتي من الليل
وأعِدّ نفسي كما يجب
لأزفها عروساً لنهار جديد.

لحظتها ــ خاصة لما يشتد البرد أكثر
وتتساقط الثلوج غزيرة مثل ملائكة
يغمى عليها فتهي من أعلى

وينجرف التراب الذي طالما مشيت فوقه إلى حاجاتٍ شتى
وتظهر مسالك جديدة بعد مياه السيول ــ
لن أكون في انتظار أحد
لا يأتي فأوجه له رسالة عتاب
لن يكون في انتظاري أحد بصدد قراءة حظه في الجريدة
تمضيةً للوقت الذي أكون خارجه
سأخرج من البيت راكضاً
كدم يتدفق من جرح ساخن
لا ألوي على شيء سوى جمع الحطب
من تلك الغابة
التي تخفيها هذه الشجرة
وإلقاء نظراتٍ قد تكون أخيرة
على أرانب برية.

(نيس ــ فيفري 2005)

— Week end —

سأذهب أبعد من كل التوقعات
وأبني لي بيتاً من قطع أحجار نائئة تساقطت
من كواكب سماوية كأنها مطرودة من الجنة
وأغرس حول هذا البيت أشجاراً أزينها بنجوم الظهيرة
وأحفر كالنمل آباراً عميقة جداً كليال طويلة
وأدعو إلى هذا البيت ضيوفاً كانوا قد غادروا
وآخرين لم يجيئوا بعد، لأحدثهم بحماس
— ونحن نتناول العشاء على ضوء الشموع — عن
استيقاظي باكر هذا الصباح خصيصاً للذهاب
إلى المدينة و الطواف بجميع مغازات الفخار
لشراء هذه المزهرية التي على هذه الطاولة أمامنا
والتي من أجلها أبكّر غداً إلى سوق الأزهار
الذي يصادف يوم أحد.

صبي يتمرن على المشي

لن أذهب بعيداً هذه المرة
لن أخطئ عدّ النجوم
لن أخطئ تقدير عواقب الخروج عن حدود الليل
لن أحول دون وقوع السماء كصبي يتمرن على
المشي
أو كمحظور أحمر بلون الدم
لن أحدث أحداً عن العاصفة الأخيرة
وما تركته من أشجار صرعى على الطرقات
لن أجرب الدخول من النافذة ــ ولو لمرة
أخيرة ــ كشعاع القمر
لن أطرشق أصابعي ضجراً وأنا أترقب رسالة لا أدري من أين
لن أذهب بعيداً.

أركان البيت

حتى إن قُطِعت إلى أجزاء
ورُمي كل جزء في جهة ما
لا تقودها الصدفة يوماً إلى ملاقاة الجهات الأخرى
لن يهمني أنني سلكت سبيلي
متفرقاً دون أن أتجمع
مثلما تتجمع مياه السيول في بركة
ولن أعبأ بالصياح الذي ستجلبه الريح
من هذه الجهة
أو تلك
ما دام لدي كل هذا الهدوء
الذي لا تملكه سوى الأركان.

فقدان الوعي

الأرض تدور بأكثر سرعة
لمّا تكسر الريح قواعد اللعب
فأتعثر بعكازي مثل شيخ ضرير
وأسقط بكل ثقلي كمطر الصيف

خاصة إذ أجوع فآكل من ذاكرتي
وأشرب من دمي الساخن
من كثرة العدو على غير هدى
في طرقات أخرى

الأرض تدور بأكثر من سرعة
ذعراً من الأروقة المدلهمة
المنسوجة من خيوط الخرافة
التي نعرفها
جميعنا
ونحفظ تفاصيلها عن ظهر قلب.

سوف أقول أكثر من هذا الريش الأسود
أنا الذي لا يزال ــ في مشقة ــ يلتقط أنفاسه
كحبات قمح
من على وجه اليابسة
ويحاول ــ مستجمعاً قواه الغيبية ــ
أن ينهض.

خزانة

الخزانة التي أودعتها ملابسكِ الداخلية
لم تحفظ أسراركِ
باحت بكل شيء لعمال جمع الزبالة
حالما رميتِ بها و استبدلتها بأخرى جديدة
هي كذلك ستصمت طوال حياتها لكن
ما أن تحس بأنها بصدد لفظ نفسها الأخير
حتى تسارع إلى لفظ أسرارك معه
الخزانة
التي وهبتِ مرآتها صورتك آلاف الصباحات
الخزانة ذات الأرجل الأربعة التي طالما آلمت
مربعات الجلّيز بثقلها الذي من ثقل
ثيابك الأكثر التصاقاً بك
الخزانة التي كانت صامتة في الغرفة
التي لا صرير حتى لأبوابها
كم تحدثت

مساحات

(إلى عبدا لهادي سعدون)

نكبرُ كالأشجارِ، كالأحجارِ، ككل شيء
كلما كبرنا أكثر ملأنا مساحات من هذا الفضاء
كانت شاغرة إلا من الهواء
ومن هبة عصفور أو فراشة بين فينة وأخرى
مساحات لم تسبقنا إليها جدران تبنى فجأة
نملأها بقامات و رؤوس تتحرك
وتتلفت هنا وهناك بعيون واسعة.

كالأشجار، كالأحجار، ككل شيء أيضاً
سنختفي ذات يوم لنترك المساحات
لمالكيها الأوائل: الهواء، هبة عصفور
أو فراشة بين فينة و أخرى
صغار يكبرون
جدران تبنى فجأة ... الخ ... الخ .

حقيقة

باستطاعته أن يدور ويدور
ويدور
مثل الخذروف
هذا الكوكب الذي أنا فوقه
بثقلي الذي لا يحس به مطلقاً
كما لو أني ذبابة على ظهر ثور هائل.

باستطاعته كذلك أن يتوقف ـــ في أية لحظة ـــ
دون أن أملك القدرة على تحريكه مليمتراً
بهاتين اليدين الصغيرتين.

لكن، ليس باستطاعته أبداً
أن يلغي حقيقة أني كنت فوقه
وأني أكثر من مرة
ركلته
بهاتين القدمين الصغيرتين.

استراحة عابر سبيل

سأنتظر هنا في هذا المخبئ
المليء بالليل
وموسيقى الصمت
توقفَ المطر الذي يدق عظام الأرض في الخارج
(أو الداخل، لا أدري!)
سأنتظر هنا برهة
أحادث خلالها الظلال
والأركان
عن المياه التي تجري من تحتي
عن اللصوص الذين يقطعون الطريق
كما يقطع الضجيج نظام الأفكار
عن تلك التي خرجتُ من حياتها
مثلما تسقط ورقة خريفية من شجرة
عن بيت أضعته سهواً
حال التفاتة مني إلى جملة خاطئة

عن كيس المجهول الذي لم أقو على حل رباطه حتى بأسناني
وعن أشياء لا أتذكرها الآن ...
سأنتظر قليلاً
قبل أن أنسل خفيفاً كخيط نحيل يخرج من ثقب إبرة
إلى الخارج
(أو الداخل، لا أدري!)
حيث طريق ستأخذني
إلى جهة أخرى.

(نيس — خريف 2004)

أطياف

ظلالي
تطول
وتقصر:
شياطين تحاول
إخافة جسدي.
**
قامتي ألفٌ
ليلاً تحاذي
الهاء.
**
سماء
أرهقت عنقي
أمكن لي رؤيتها جلياً
في قاع غدير
**

أصابعي وضعت السماء فوق ركبتي
وأنا تحركت ...
**
أحفرُ عميقاً
عما هو أثقل من خرافة
وأخفّ من هواء النافذة
أحفر
عن جذور
تطير!
**
روحي التي
طارت ...
عادت لتحط على أغصاني
وهي تسعل بلا انقطاع.
**
السماء عالياً
لا تزال تحك أظافرها!

إنه هناك في ميشيغان
ينهض في صباحات أخرى
غير الصباحات التي أنهض فيها هنا في فرنسا
على مرأى روحي الذي غادرني
كما يغادر الدخان بلا أمل في العودة
يقرأ بريده
وهو يرشف قهوته في هدوء جبل
وسيجارة المارلبورو
بين أصابعه النحيلة
السمراء جداً كأغاني صيف.

(نيس ـــ 2004/12/10)

تأكد

(إلى فتحي قمري)

قبل أن تقرر إزاحة أصابعك العشرة دفعة واحدة
وإكمال حياتك دون عدّهن آلاف المرات في اليوم
تأكد من أنّ السماء لا تزال فوقك
والأرضَ لا تزال تحت قدميك.

قبل أن تترك البيت دون رجعة
وترمي المفتاح في مياه النهر الجاري باتجاه المجهول
تأكد من أنّ قامتك استطالت كشجرة سرو.

قبل أن ترتكب جريمة أخرى
يعاقب عليها قانون الغاب
تأكد من أنك أنت حتى الآن
ولا أحد حلّ مكانك ليلاً.

لا أَلوي على شيء سوى جمع الحطب

لحظتها
لن أجد من يدلني على مأوى أخير
لن أضيع في الفضاء مثل رصاصة طائشة
لن أشرب الماء الذي منه خلقني الله
وأمسح شفتيّ بكم قميصي
لن أشعل النيران في حدائق الجيران كي
أرى أصابعي تطول أكثر من اللازم
لن أنام كجبل هادئ
لن أستيقظ صباحاً كي أحلق ذاكرتي من الليل
وأعِدّ نفسي كما يجب
لأزفها عروساً لنهار جديد.

لحظتها ــ خاصة لما يشتد البرد أكثر
وتتساقط الثلوج غزيرة مثل ملائكة
يغمى عليها فتهي من أعلى

وينجرف التراب الذي طالما مشيت فوقه إلى حاجاتٍ شتى
وتظهر مسالك جديدة بعد مياه السيول ــ
لن أكون في انتظار أحد
لا يأتي فأوجه له رسالة عتاب
لن يكون في انتظاري أحد بصدد قراءة حظه في الجريدة
تمضيةً للوقت الذي أكون خارجه
سأخرج من البيت راكضاً
كدم يتدفق من جرح ساخن
لا ألوي على شيء سوى جمع الحطب
من تلك الغابة
التي تخفيها هذه الشجرة
وإلقاء نظراتٍ قد تكون أخيرة
على أرانب برية.

(نيس ــ فيفري 2005)

— Week end —

سأذهب أبعد من كل التوقعات
وأبني لي بيتاً من قطع أحجار ناتئة تساقطت
من كواكب سماوية كأنها مطرودة من الجنة
وأغرس حول هذا البيت أشجاراً أزينها بنجوم الظهيرة
وأحفر كالنمل آباراً عميقة جداً كليال طويلة
وأدعو إلى هذا البيت ضيوفاً كانوا قد غادروا
وآخرين لم يجيئوا بعد، لأحدثهم بحماس
— ونحن نتناول العشاء على ضوء الشموع — عن
استيقاظي باكر هذا الصباح خصيصاً للذهاب
إلى المدينة و الطواف بجميع مغازات الفخار
لشراء هذه المزهرية التي على هذه الطاولة أمامنا
والتي من أجلها أبكّر غداً إلى سوق الأزهار
الذي يصادف يوم أحد.

صبي يتمرن على المشي

لن أذهب بعيداً هذه المرة
لن أخطئ عدّ النجوم
لن أخطئ تقدير عواقب الخروج عن حدود الليل
لن أحول دون وقوع السماء كصبي يتمرن على
المشي
أو كمحظور أحمر بلون الدم
لن أحدث أحداً عن العاصفة الأخيرة
وما تركته من أشجار صرعى على الطرقات
لن أجرب الدخول من النافذة ــ ولو لمرة
أخيرة ــ كشعاع القمر
لن أطرشق أصابعي ضجراً وأنا أترقب رسالة لا أدري من أين
لن أذهب بعيداً.

أركان البيت

حتى إن قُطِعت إلى أجزاء
ورُمي كل جزء في جهة ما
لا تقودها الصدفة يوماً إلى ملاقاة الجهات الأخرى
لن يهمني أنني سلكت سبيلي
متفرقاً دون أن أتجمع
مثلما تتجمع مياه السيول في بركة
ولن أعبأ بالصياح الذي ستجلبه الريح
من هذه الجهة
أو تلك
ما دام لدي كل هذا الهدوء
الذي لا تملكه سوى الأركان.

فقدان الوعي

الأرض تدور بأكثر سرعة
لمّا تكسر الريح قواعد اللعب
فأتعثر بعكازي مثل شيخ ضرير
وأسقط بكل ثقلي كمطر الصيف

خاصة إذ أجوع فآكل من ذاكرتي
وأشرب من دمي الساخن
من كثرة العدو على غير هدى
في طرقات أخرى

الأرض تدور بأكثر من سرعة
ذعراً من الأروقة المدلهمة
المنسوجة من خيوط الخرافة
التي نعرفها
جميعنا
ونحفظ تفاصيلها عن ظهر قلب.

سوف أقول أكثر من هذا الريش الأسود
أنا الذي لا يزال ـــ في مشقة ـــ يلتقط أنفاسه
كحبات قمح
من على وجه اليابسة
ويحاول ـــ مستجمعاً قواه الغيبية ـــ
أن ينهض.

خزانة

الخزانة التي أودعتها ملابسكِ الداخلية
لم تحفظ أسراركِ
باحت بكل شيء لعمال جمع الزبالة
حالما رميتِ بها و استبدلتها بأخرى جديدة
هي كذلك ستصمت طوال حياتها لكن
ما أن تحس بأنها بصدد لفظ نفسها الأخير
حتى تسارع إلى لفظ أسرارك معه
الخزانة
التي وهبتِ مرآتها صورتك آلاف الصباحات
الخزانة ذات الأرجل الأربعة التي طالما آلمت
مربعات الجلّيز بثقلها الذي من ثقل
ثيابك الأكثر التصاقاً بك
الخزانة التي كانت صامتة في الغرفة
التي لا صرير حتى لأبوابها
كم تحدثت

وكم تحدثت حتى وهي مفصولة عن
قوائمها الأربعة
التي كانت ـــ في حالة الهستريا ـــ
تركل الشارع
والعمال
والشاحنة الكبيرة...

كلمة لأحدهم داخل المتحف

.. .. وهنا لم أقو على الوقوف
دون الاستناد على الأمس
الذي فرغ مني تماماً حتى آخر قطرة
لم أقو حتى على مد يدي إلى الزر لإشعال الضوء
داخل الغرفة الواسعة كحياة لم يعشها أحد
لم أقو حتى على التقدم خطوة واحدة
أو التراجع خطوة واحدة
كان عليّ أن أقف كتمثال قديم ليس أكثر
منتظراً السّياحَ الذين سيتهافتون على ملامستي
وتدوين مذكراتهم بابتساماتٍ عريضة.

(نيس ـــ شتاء 2005)

رسالة قصيرة إلى صديق آخر

سأكون حذوك
حتى إن لم آت في الموعد المحدد بكل دقة
حتى إن لم آت أبداً
حتى إن طال ترقبك مثل شجرة سرو في ساحة مدرسة
سأكون بقربك أسمع سبابك و شتائمك لهذا المخلفِ
لوعده المتأخر دائماً كعربة خلفية
في قطار طويل
سأكون معك لأنني لن أكون هنا
بعدُ لست هنا
لا أستطيع أكثر من هذا ...

(نيس ــ أفريل 2005)

الذين حضروا جميعهم سريعاً مثل عارض المطر
تحلقوا حولي ـــ مثل سرب كواسر حول جثة في صحراء–
ليحدثوني عن حادثة وفاة صاحبنا أخيراً ـــ لم أكن أعرف ذلك–
قبل أن ينفضوا من حولي سريعاً أيضاً مثلما ينقضي عارض المطر
الذين حضروا و غادروا لم يعرفوا
أنهم ـــ مثل صاحبنا ـــ
عاشوا وماتوا
أنا الوحيد الذي يعرف
ويحتفظ لنفسه بالسرّ.

طريقة قديمة

أمشي إليكِ
بخطوات أولى مشيتها صغيراً
بجسد يتمايل
عندما كانت أمي تدربني على المشي ــ في صحن ذلك البيت ــ
نحو لعبة قديمة.

خطوات صغيرة جداً
أعيد مشيها من جديد
بذات الإيقاع الخافت
كضوء مساء.

باتجاه بيتك
المبني بأحجار ذاكرة
فُقِدت في حادث سير
في طريقة سريعة.

سوابق

لم يسبق لي أن خرجت عن حدودكِ التي لا تكف عن التحرك كرمال الصحراء

لم يسبق لي أن أفشيت سرّ العاصفة التي تهب في كل مرة بلا داع

لم يسبق لي أن كنتُ دونكِ و لو على سبيل الخطأ

لم يسبق لي أن كبرتُ كبطن الحامل دون تربيت كفك

لم يسبق لي أن تشابكت معي كأغصان شجرة دون تحريض عينيك

لم يسبق لي أن غادرت دون جرة من قلمك.

ذلك الجبل

ما أعلاه
كم يتعبنا تسلقه
مستندين أحدنا على
الآخر
بجسدين ينتفخان
ويتقلصان من اللهاث
في انتظام عجيب
يشابه انتظام عقارب الساعة
لا يربكه تعب العضلات
ولا الانزلاقات الصغيرة
ولا ــ حذار!
ولا ــ هيا لم يعد هناك الكثير!

حالات جديدة

صيرتُ
قديماً كذكرى غائمة
لا نتذكر سوى تفاصيلها الكبيرة
مثلما لا يتذكر مجرم
سوى الطعنة القاتلة
التي جمدت حركات ضحيته
ومنظر الدم الفائر ساخناً.

لا أفعلُ شيئاً
عدا الخروج من البيت والدخول إليه
كي أتأكد من أني لا أزال أتحرك
ولا أزال أسكن البيت نفسه
والحي نفسه
والمدينة
والبلاد
والكوكب
و .. ...

أحصي نبضات قلبي بين فينة وأخرى
كما يحصي المتسول ملاليمه آخر النهار
وأؤجل جميع ما ينبغي عمله
إلى أوقات أخرى
لا تأتي أبداً.

لا أرى أحداً
ألقي عليه تحية الصباح
أو تحية المساء.

لا أسمع أحداً
يناديني
ولو بصوت خافت.

لا أكثر من التحدث
إلى نفسي
مخافة أن يتطور الحديث إلى شجار
وتشابك بالأيدي.

أمشي ببطء سلحفاة
ــ ولو إلى موعد مع الشمس ــ
مخافة أن أتهاوى
وأسقط
ليس على الأرض
بل تحتها
بأميال.

ليل أسود

الآن
بعد أن فكرت مثل جبل هرم
أدركت أن لا محيد عن التحلي بخصال ليل أسود
والزحف بلا أمل في العودة
ولو يائساً
إلى ما كان
وإن علي الخروج دائماً
عن الحدود
ولو كلفني ذلك أن أدور حول
ما لا أعرف من الأماكن
مثل مفتاح يدور في قفل أوسع منه
الأمر الذي يثير غضب حامله
ـ الذي في الأصل هو سارق ـ
فيلقي به مزمجراً على قارعة الطريق
نادباً حظه.

أشباح أخرى

(إلى محمد لطفي اليوسفي)

مدفوعين من الوراء نذهب كالأنهار نحو جهات لا نعرفها
ـــ يعرفها أولئك الذين حفروا المجاري، حتى
أولئك الذين لم تدفع لهم رواتب العمل
المضني ـــ
نحن الذين نعدو هاربين من أشباح فاجأتهم في
ليلة رأس السنة
كم نحبهم أولئك الذين لم يتنكروا
الذين انتظروا الهدايا حتى الصباح
الذين كادوا ييأسون من الخروج مضيئين كشمس أولى
أيام العام
الذين اخطأوا عدّ الأيام التي تفصلنا عنهم
الذين قضوا الكيلومترات بشراهة جِمال
تسير على غير هدى
في صحارى كبيرة كجدات
لم نعد نتذكر تاريخ ميلادهن.

لدي موعد مع مراهقة يعود إلى عشرة أعوام
علي أن أذهب إليه الآن
واعتذر لها عن عدم قدومي في الموعد المحدد.
إذا لم تأتِ ــ إذا كانت قد أتت
قبل عشرة أعوام
ولم أكن قد أتيتُ ــ
فعليها أن تأتي بعد عشرة أعوام من الآن
لتقول إنها مرت ثانية بنفس المكان
ووجدت مكتوبةً على الإسفلت هذه السطور
والدموع الغزيرة الغزيرة
كشموع عيد ميلاد عجوز طاعن في السن.

(القطار بين تولون و نيس ــ 2005/1/28)

آخر رسالة

الشمس
التي تعرّي ما بيني وبيني من الفجوات
أتدرب على أن أتقن أشعتها
كمن يتقن حرفة أجداده.

أشعتها جميع ما يذهب
أدراج الرياح

الشمس كُجّة ألعب بها في كبري
أدعكُ بها الضجة
وأرمي بها زجاج النوافذ.

الشمس
هذه التي في حجم شهقة من شهقاتي في سنوات الرضاعة
أو نقطة في نهاية آخر رسالة أقرأها
أو حصاة صغير
لا تصلح لبناء ما تهدم
ولا لنحت التماثيل
ليست سوى حياة عصفور مهدد
بالانقراض
أعيشها بدلاً عنه
بكل ما يكتنفها من الرعب.

(نيس ـــ ربيع 2003)

ودون أن تجد أحداً في انتظارك سيحل ركبك
مثل عاصفة مفاجئة
لم يتوقعها علماء الرصد الجوي
ستسيل كدماء ساخنة
من أنف يتعرض لضربة شمس صيفية
ويتشربك تراب الضفة.

أنت الذي لم نقرأ له حساباً
أنت الذي لم يتوقعك المنجمون
كم سيكون حلولك حزيناً كحلول الخريف
كم ستنوح مقعياً على ركبتيك
دون أن يتناهى نشيجك إلى سمع حجرة.
نقول لك وداعاً حتى أيان قدومك
وداعاً لأننا لن نراك مرة أخرى
نحن الذين نذوي كالأعشاب الطرية
المنهمكون في الخروج بلا أمل في الرجوع
ـــ ولو فرادى ـــ مثلما ترجع الطيور المهاجرة
مهتدية بالشمس.

نقول وداعاً حتى لدى قدومك
الذي ليس بمقدورنا أن نتوقعه
في غياب ما يدل
من النجوم
التي نحن تحتها تنظرُ نحونا
دون أن يعتريها الدوار.

دون حتى أن ترى أحداً
ستغادر بدورك ــ ثانية وثالثة و رابعة ... ــ
ناسياً أن تمسح الدمعة الأخيرة من على خدك
الذي لم يُقبّل من مدة طويلة
ناسياً أن تقول وداعاً
لنا
نحن الذين هنا ــ هناك
لا نراك رغم صفاء الأفق
المنهمكون في الذهاب أيضاً
إلى أماكن أخرى
لا ينتظرنا فيها أحد.

الفهرس

رضا العبيدي

ـــ ولد عام 1973 في قرية "سيدي عبيد" التابعة لولاية جندوبة في شمال غرب تونس.

ـــ يعمل ويقيم في فرنسا منذ سنة 2000.

ـــ حاصل على شهادة الأستاذية في اللغة والآداب العربية (كلية الآداب بمنوبة ـــ تونس).

ـــ نشر العديد من نصوصه في الصحف والمجلات التونسية (الصحافة، الصباح، الأخبار، الجوهرة الفنية، الإتحاف، الحياة الثقافية...)، وخارج تونس (الزمان، القدس العربي، الغارة الشعرية، ضفاف، الحركة الشعرية، ألواح، القصيدة...).

ـــ له مجموعات أخرى وترجمات في انتظار النشر.

من إصدارات "سنابل"
الإسبانية المصرية للكتاب

- **أن تعيش لتحكي**
السيرة الذاتية
جابرييل جارثيا ماركيز
ترجمة: د.طلعت شاهين
- **ذكريات**
رواية
تأليف: جابرييل جارثيا ماركيز
ترجمة: د.طلعت شاهين
- **نضارة شمس**
شعر
عطية حسن
- **جماليات الرفض**
في مسرح أمريكا اللاتينية
دراسة
د.طلعت شاهين
- **القرمية**
رواية
تأليف: سميحة خريس
- **طلسمات مصرية**
محمد حسين يونس
- **رصيف يصلح لقضاء الليل**
شعر
سامي الغباشي
- **حكاية أيرانديرا البرئية**
تأليف: جابرييل جارثيا ماركيز
ترجمة: د.طلعت شاهين
- **بين انكسار الحلم والأمل**
شعر
سيد جودة
- **من حلاوة الروح**
رواية
صفاء عبدالمنعم
- **قطرات الماء**
تأليف: ميدوروما شون
ترجمة: د. أحمد فتحي
- **كتاب العشق والدم**
شعر بالعربية والأسبانية
طلعت شاهين
- **قيامة البحر**
شعر
د. قرشي ندراوي
- **رجل عدن**
رواية
تأليف: كلارا خانيس
ترجمة: د. طلعت شاهين
- **إلا .. تعال**
شعر
سهير الداوود
- **كائن العزلة**
رواية
محمود الغيطانى
- **مملكة الجوارح**
رواية
د. زينب أبو سنه
- **ثلاثاءات عابر سبيل**
شعـــر
السماح عبد الله